الباب الخامس

في بيان أمور يحتاج الناظر في علم الأنساب إليها

وهي عشرة أمور:

الأول: قال الماوردي إذا تباعدت الأنساب صارت القبائل شعوبًا، والعمائر قبائل؛ يعني: وتصير البطون عمائر والأفخاذ بطونًا، والفصائل أفخاذًا، والحارث من النسب بعد ذلك فصائل.

الثاني: قد ذكر الجوهري أن القبيلة هي بنو أبٍ واحد، وقال ابن حزم: جميع قبائل العرب راجعة إلى أب واحد سوى ثلاث قبائل وهو تنوخ والعتق وغسان؛ فإن كل قبيلة منها مجتمعة من عدة بطون وسيأتي بيان ذلك في الكلام على كل قبيلة من القبائل الثلاث في موضعه إن شاء الله تعالى، نعم الأب الواحد قد يكون أبًا لعدة بطون، ثم أبو القبيلة قد يكون له عدة أولاد فيحدث عن بعضهم قبيلة أو قبائل فينسب إليه من هو منهم ويبقى بعضهم بلا ولد أو يولد له ولم يشتهر ولده فينسب إلى القبيلة الأولى.

الثالث: إذا اشتمل النسب على طبقتين فأكثر كهاشم وقريش ومضر وعدنان جاز لمن في الدرجة الأخيرة من النسب أن ينتسب إلى الجميع فيجوز لبني هاشم أن ينتسبوا إلى هاشم وإلى قريش وإلى مضر وإلى عدنان، فيقال: في أحدهم الهاشمي والقرشي والمضري والعدناني بل قد قال الجوهري: إن النسبة إلى الأعلى مغنٍ عن النسبة إلى الأسفل؛ فإذا قلت في النسبة إلى كلب بن وبرة: الكلبي استغنيت عن أن تنسبه إلى شيء من أصوله وذكر غيره أنه يجوز الجمع في النسب بين الطبقة العليا والطبقة السفلى، ثم بعضهم يرى تقديم العليا على السفلى مثل أن يقال: الأموي العثماني، وبعضهم يرى تقديم السفلى على العليا، فيقال العثماني الأموي.

الرابع: قد ينظم الرجل إلى غير قبيلة بالحلف والموالات؛ فينسب إليهم فيقال: فلان حليف بني فلان، أو مولاهم.

والخامس: إذا كان الرجل من قبيلة ثم دخل في قبيلة أخرى جاز أن ينسب إلى قبيلته الأولى وأن ينسب إلى القبيلة التي دخل فيها، وأن ينتسب إلى القبيلتين جميعًا مثل أن يقال: التميمي ثم الوائلي، أو الوائلي ثم التميمي وما أشبه ذلك.

السادس: القبائل في الغالب تسمى باسم الأب الوالد للقبيلة كربيعة ومضر والأوس والخزرج ونحو ذلك، وقد تسمى القبيلة باسم أم القبيلة كخندف وبجيلة ونحوهما، وقد تسمى باسم خاصية ونحوها، وربما وقع اللقب على القبيلة بحدوث سبب كغسان فإنهم نزلوا على ماء يسمى غسان فسموا به، وربما وقع اللقب الواحد عليه فسموا به، وقيل غير ذلك، على ما سيأتي في الكلام على الأنساب.

السابع: أسماء القبائل في اصطلاح العرب على خمسة أضرب:

أولها: أن يطلق على القبيلة لفظ الأب كعاد وثمود ومدين وما شاكلهم وبذلك ورد القرآن الكريم كقوله تعالى: {وإلى عاد} {وإلى ثمود} {وإلى مدين} يريد بني عاد وبني ثمود وبني مدين، ونحو ذلك، وأكثر ما يكون ذلك في الشعوب والقبائل العظام لا سيما في الأسماء المتقدمة بخلاف البطون والأفخاذ ونحوها.

وثانيها: أن يطلق على القبيلة لفظ البنوة فيقال: بنو فلان وأكثر ما يكون ذلك في البطون والأفخاذ والقبائل الصغار ولا سيما في الأزمان المتأخرة.

وثالثها: أن ترد القبيلة بلفظ الجمع مع الألف واللام كالطالبين والجعافر ونحوهما وأكثر ما يكون ذلك في المتأخرين وغيرهم.

رابعها: أن يعبر عنها بآل فلان كآل ربيعة وآل فضل وآل علي، وما أشبه ذلك، وأكثر ما يكون ذلك في الأزمنة المتأخرة لا سيما في عرب الشام في زماننا. والمراد بالآل الأهل.

وخامسها: أن يعبر عنها بأولاد فلان ولا يوجد ذلك إلا في المتأخرين من أفخاذ العرب على قلة.

الثامن: غالب أسماء العرب منقولة عما يدور في خزانة خيالهم مما يخالطونه ويجاورونه؛ أما من الحيوان: كأسد ونمر، وأما من النبات: كنبت وحنظلة، وأما من الحشرات: كحية وحنش، وأما من أجزاء الأرض: كفهر وصخر، ونحو ذلك.

التاسع: الغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء: ككلب وحنظلة وضرار وحرب وما أشبه ذلك، وتسمية عبيدهم بمحبوب الأسماء كفلاح ونجاح ونحوهما، والمعنى في ذلك ما يحكى أنه قيل لأبي الدقيس الكلابي: لِمَ تسمون أبنائكم بشر الأسماء نحو: كلب وذئب، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو: مرزوق ورباح؟

فقال: إنما نسمي أبنائنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا يريد أن الأبناء معدة للأعداء فاختاروا لهم شر الأسماء، والعبيد معدة لأنفسهم فاختاروا لهم خير الأسماء.

العاشر: إذا كان في القبيلة اسمان متوافقان كالحارث والحارث والخزرج والخزرج، وما أشبه ذلك وأحدهما من ولد الآخر وبعده في الوجود عبَّروا عن الوالد والسابق منهما بالأكبر، وعن الولد والمتأخر منهما بالأصغر، وربما وقع ذلك في الأخوين إذا كان أحدهما أكبر من الآخر